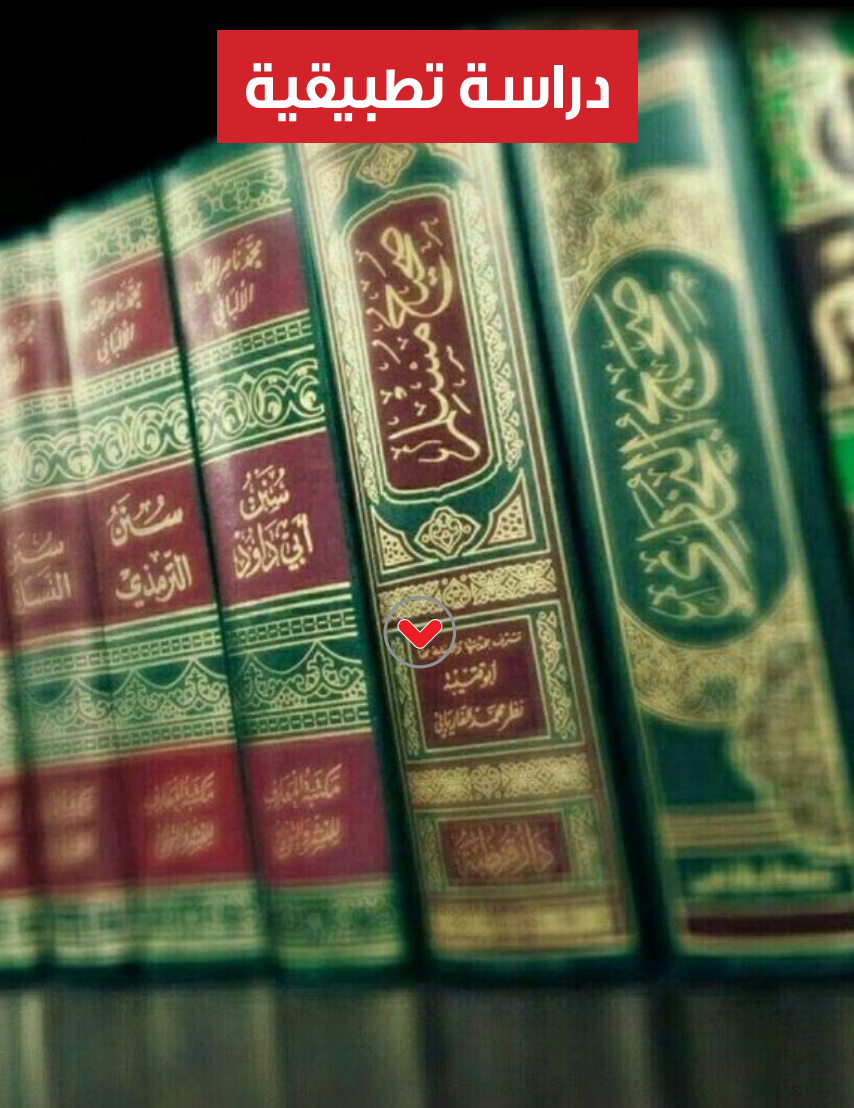
بهاء الدين محمد أنور محمود

أثر أسباب ورود الحديث في فَهْم أحاديث الأحكام

دراسة تطبيقية



مقدمة

إنّ فهم الحديث النبوي لا يقتصر على مجرد حفظ ألفاظه أو الوقوف عند ظاهره، بل يتطلب إدراكًا للسياق الذي ورد فيه، والظروف المحيطة به، والأسباب التي دعت إلى صدوره، وهو ما يُعرَف في علوم السنة بـ«أسباب ورود الحديث». وهذا العلم يُعدّ من العلوم الدقيقة والمُساعِدة التي تُسهم في كشف مراد النبي ﷺ، وتساعد في إزالة الغموض عن المتون، وترشيد الاستنباط، وضَبْط الحكم الشرعي المستند إلى الحديث.

وقد أَوْلَى علماء الحديث عنايةً خاصة بأسباب ورود الأحاديث، واعتبروها شقيقةً لأسباب نزول القرآن الكريم؛ لما في كلٍّ منهما من دَوْرٍ مُهِمّ في توجيه الفهم الصحيح للنصّ الشرعي، واستيعاب عِلَله وأبعاده. وبالرغم من أهمية هذا العلم، إلا أنه لم يَنَلْ من التأصيل والتطبيق ما يستحقّه من الدراسة، خاصةً في علاقته بأحاديث الأحكام.

والتساؤل هنا: ما أثر معرفة أسباب ورود الحديث في فَهْم أحاديث الأحكام واستنباط دلالاتها؟ تأتي هذه المقالة لتُبيّن أهمية هذا الجانب من علوم السُّنة؛ من خلال التأصيل النظري، والعرض المنهجي، والتطبيق العملي على نماذج مختارة من أحاديث الأحكام.

تعريف أسباب ورود الحديث:

أسباب جمع سبب، والسبب لغة: الحبل،

ومـا يُتوصّل به إلى غيره. والورود والموارد لغةً: المناهل، أو الماء الذي يُورَد.

أما تعريف أسـباب ورود الحديث النبوي اصطلاحًا فهو: عِلْم يُبحَث فيه عن الأسـباب الداعية إلى ذِكْر رسول الله ﷺ الحديث أولاً، وهذا السبب قد يكون سؤالاً، وقد يكون قصة، وقد تكون حادثة؛ فيقول النبي ﷺ الحديث بسببه أو بسببها.

وعلم معرفة أسباب الحديث، ذكره الحافظ البُلْقِينيُّ؛ المتوفى سنة خمس وثمانمائة في كتابه القيّم: «محاسـن الاصطلاح وتضمين كلام ابن الـصلاح»؛ فقد اختصر المقدمـة لابن الصلاح، وزاد عليها بعض الأنواع، ثم الإمام الحافظ ابن حجـر في «النخبة وشرحها»، فقد نوَّه به أيضًا، وذكره، وصنَّف فيه أبـو جعفر العُكبري، وأبو حامد بن كوتـاه الجوباري؛ قال الذهبي: «ولم

يُسبَق إلى ذلك». وقال ابن دقيق العيد: «شرع بعض المتأخرين في تصنيف أسباب الحديث كما صُنّف في أسباب النزول».

تعريف أحاديث الأحكام

أحاديث جمع حديث، والحديث لغةً: ضد القديم، ويُستعمَل في اللغة أيضًا حقيقةً في الخبر؛ قال في القاموس: الحديث: الجديد، والخبر. والحديث في اصطلاح جمهور المحدثين هو: «ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قولٍ أو فعْلٍ أو تقريرٍ أو وَصْف خِلقي أو خُلقي، أو أُضيف إلى الصحابي أو التابعي». وعلى ذلك إما أن يكون الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ، أو موقوفًا على الصحابي أو مقطوعًا عند التابعي.

والأحكام: جُمْع حكم، والحُكم لغة: العِلْم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم.

والحكـم الشرعـي اصطلاحًا هـو: خطاب اللـه المتعلق بأفعال المُكلّفين طلبًا أو تخييرًا أو وضعًا.

أما أحاديث الأحكام فهي الأحاديث النبوية المتعلّقة بالأحكام الشرعية العملية.

وأما تعريف أحاديـث الأحكام كعِلْم، فهو: عِلْـم يبحث في أقـوال الرسـول ﷺ وأفعاله وتقريراته، من حيـث تعلّقها بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

فوائد معرفة أسباب الورود ما يلي:

١. إدراك دلالـة حِكَـم التشريـع، وحقيقة المعنى وأبعاده، ومعرفة مقاصد الشريعة.

٢. فَهْـم الحديـث على الوجـه الصحيـح، وسلامة الاستنباط منه.

٣. إزالة الإشــكال عن متون الحديث، ودَفْع ما يُوهِم التعارض.

٤. معرفة أســباب ترجيح رواية على أخرى، وإدراك ما بين الــرواة من وَصْف دقيق لطرق التحمُّل والأداء.

٥. معرفــة التاريخ الزمــاني والمكاني للمتون الحديثية؛ أي: معرفة تاريخ تشريع الأحكام.

٦. معرفة مراحل التدرُّج في تشريع الأحكام.

المنهج العلمي لمعرفة أسـباب ورود الحديث:

إن معرفة أســباب ورود الحديث ليســت عملية اجتهادية محضة يُبنَى فيها على الظن أو الاستنباط العقلي المجرد، بل هي عملية علمية دقيقة تخضع لمنهج نقدي صارم يراعي ضوابط الرواية، وأصول التفسير، وقواعد الفهم.

ويتلخّــص هذا المنهج العلمي في الخطوات التالية:

١ – الاعتماد على الرواية الصحيحة:

يُعدّ السند النقلي الموثوق الأساس في معرفة سبب ورود الحديث؛ إذ لا يجوز بناء السبب على مجــرد التخمين أو الحــدس؛ فالطريقة المنهجية تقتضي:

- الاعتماد على رواية الصحابي الذي شــهد الواقعة، أو سأل النبي ﷺ.
- أو على روايــة تابعي نقل الســبب ممن حضر الحدث.
- رفض الأســباب التي لا تســتند إلى رواية صحيحة أو تصريح معتبر.

والوقوف على أسـباب الحديث لا يكون إلا بسماع مَن شاهد الواقعة، أو مَن أُخبر بها ممّن شـاهدها، وإلا كان القول فيها ضربًا من الرأي غير المعتمد.

٢- التمييز بين «سـبب الورود» و«سبب الذكر»:

- **سـبب الورود:** هو السبب الواقعي الذي لأجله قال النبي ﷺ الحديث.

- **سـبب الذكر:** هو المناسبة التي ذكر فيها الـراوي الحديـث لاحقًا، وغالبًا مـا تكون غير مرتبطة بسبب الورود.

مثال: قد يروي الصحـابي حديثًا في مجلس فتـوى أو تعليم، لكن لا يعنـي ذلك أن هذه هي المناسبة التي قيل فيها الحديث.

٣-تحليل السياق الداخلي والخارجي للحديث:

- **السياق الداخلي:** ما يشير إليه الحديث نفسه من قرائن لفظية أو حوار أو حدَث.

- **السياق الخارجي:** ما يُذكَر في الروايات الأخرى أو كتب الشروح من أحداث أو أسئلة أو ردود أفعال.

وهذا يتطلب جَمْع طرق الحديث وتتبُّع رواياته المتعددة، والمقارنة بينها للوصول إلى أرجح سبب.

٤-الرجوع إلى كتب أسباب الورود وشروح الحديث.

ومن أهم المراجع التي اعتنت بأسباب ورود الحديث:

- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الدمشقي.
- اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي.
- أسباب ورود الحديث للعكبري.

وكذلك شروح كتب الحديث الكبرى؛ مثل فتح الباري، وشرح النووي على صحيح مسلم، وغيرها.

٥- التحقق من تطابق السبب مع دلالة المتن:

ينبغي التأكد من أن السبب المنقول ينسجم مع منطوق الحديث ومقصوده؛ لأن الخلل في الربط بين السبب والمتن قد يؤدي إلى فَهْم غير صحيح أو استنباط مضطرب.

٦- التحرّي الزمني والموضوعي:

• **زمنيًّا:** هل وقع الحدث في وقتٍ يتناسب مع مضمون الحكم؟ وهل سبق هذا الحديث أحكام ناسخة؟

• **موضوعيًّا:** هل للحديث صلة بمسائل عقدية، أم فقهية، أم اجتماعية، وما أثر ذلك في فهم السبب؟

وباختصار لا بد في إدراك أسباب الورود من الاعتماد على رواية الصحابي أو التابعي، فلا يحلّ القول في أسباب ورود أحاديث الرسول الكريم إلا بالرواية والسماع عمن شاهدوا التنزيل وعايشوا الوقائع والأحداث، ووقفوا على الأسباب؛ إذ لا مجال للعقل المجرد في الوقوف عليها. ولا بد من التفرقة بين سبب الورود الذي بسببه قال النبي ﷺ الحديث، وذكر الصحابي للحديث فيما بعد ليَستدل به

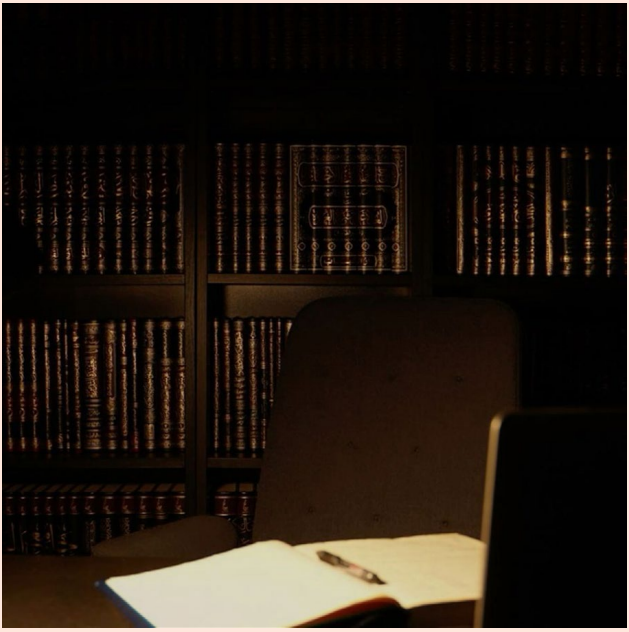
في مناسبة من المناسبات، فإنه لا يُسمَّى سبب ورود، وإنما يسمى «سبب ذِكْر»؛ فنقول مثلاً: والسبب في ذكر الصحابي -رضي الله عنه- الحديث هو كذا.

أقسام الحديث من حيث أسباب الورود:

الأول: ما له سبب قيل لأجله.

والسبب يتنوع إلى:

١. **سبب ظاهر:** وهو ما كان مذكورًا في الحديث، يدركه مَن يقرأ الحديث بداهةً، مثال ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- ، أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوْصني، فقال: «لا تغضب»، فردّد مرارًا، فقال النبي ﷺ: «لا تغضب».



٢. سـبب خفـي: وهو مـا كان مذكورًا في الحديـث، لكن لا يسـهل إدراكـه إلا بتفكُّر وتدبُّر.

٣. سـبب مُبيّن: وهـو الـذي ورد بيانه في الحديث، إمّا مِن قِبَـل النبي ﷺ، أو مِن قِبَل راوي الحديث.

الثاني: ما لا سبب له:

وهو الحديث الذي أنشأه النبي ﷺ، ابتداءً من غير سبب خاص، كتوجيهه وإرشاده، وحثّه، وأمره، ونهيه، وغير ذلك، مما صدر عنه ﷺ، ولم يكن له سبب خاص؛ مثل: قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده».

وأهمية هذا التقسيم:

- يُساعد في توجيه فهم المتن وفق دلالته الأصلية.
- يُساهم في تمييز العام من الخاص، والمطلق من المقيّد، والناسخ من المنسوخ.
- يُزيل ما يُتوهّم من التعارض بين النصوص، ويُبيِّن علل التشريع ومقاصده.

نماذج تطبيقية لأثر أسباب الورود في فهم أحاديث الأحكام

١. عن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك فِي صدرك وكرهت أن يطلع عليهِ النَّاس». سببَ ورود الحديث: أن رسول الله ﷺ سُئل عن البر والإثم، فقال النبي ﷺ: البرِّ... فذكره.

٢. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ في ماء البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته». سبب ورود الحديث: عن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ يومًا، فجاء صياد فقال: يا رسول الله إننا ننطلق في البحرين نريد الصيد، فيحمل أحدنا معه الإدَاوة أو الاثنتين، وهو يرجو أن يجد الصيد قريبًا، وربما وجده كذلك، وربما لم يجد الصيد حتى يبلغ من

البحرين مكانًا لم يظن أنه يبلغه، فلعله يحتلم أو يتوضأ، فإن اغتسل أو توضأ به في كل صلاة فقد الماء، فلعل أحدنا يُهلكه العطش. فهل ترى في ماء البحر أن نغتسل به أو نتوضأ به إذا خفنا ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «اغتسلوا منه وتوضئوا؛ فإنه الطهور ماؤه الحل ميتته».

٣. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». سبب ورود الحديث أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «أيها الناس، إن الله -عز وجل- قد افترض عليكم الحج»؛ فقام رجل فقال: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، حتى أعادها ثلاث مرات.

قــال: «لو قلت نعم، لوجبــت، ولو وجبت ما قمتم بهــا، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك الذين قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عــن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». وذكر الآية التي في المائدة نزلــت في ذلك؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١].

٤. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول اللــه ﷺ قال: «منْ غشّ فليس مني». ســبب ورود الحديث: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعُه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول اللــه، قال: «أفلا جعلته فــوق الطعام؛ كي يراه الناس. من غشّ فليس مني».

الخاتمة

بعد ذكر أثر أسباب ورود الحديث في فَهْم أحاديث الأحكام، يمكن استخلاص عدد من النتائج المهمة؛ من أبرزها:

١. إن أسباب ورود الحديث تُمثّل بُعدًا منهجيًّا ضروريًّا لفَهْم الحديث النبوي، ولا يُستغنَى عنها في ميدان الاستنباط الفقهي؛ شأنها في ذلك كشأن أسباب النزول للآيات القرآنية.

٢. إن معرفة السبب تُسهم في فَهْم مراد النبي ﷺ من الحديث، وتُوضّح سياق التشريع، وتكشف عِلل الأحكام، مما يؤدّي إلى ضبط الفهم وتقويم الاستدلال.

٣. إن من ثمرات هذا العلم: رَفْع الإشكال، ودفع التعارض، وضبط الاستنباط، وتوجيه المتن، وتحديد الزمان والمكان، وكل ذلك يُعين الفقيه والمجتهد في اجتهاده.

٤. إن هناك قصورًا نسبيًّا في تفعيل هذا العلم في الدراسات الفقهية الحديثة، مما يستدعي الدعوة إلى مزيد من الاهتمام به، وتأصيله، وتدريسه ضمن مقرّرات علوم الحديث والفقه.

للاستزادة يمكن مطالعة المراجع التالية:

١. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣. أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي.

٤. الحافظ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٥. نــور الدين عــتر، منهج النقد في علــوم الحديث، دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٦. عبــد الوهاب خــلاف، علم أصول الفقــه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر.

٧. نور بنت حســن بن عبد الحليم قاروت، مدخل لدراسة أحاديث الأحكام، مجلة أم القرى، عدد١٨ لسنة ١٤١٩هـ.

٨. محمد رأفت ســعيد، أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٤هـ ط:١.

٩. محمد يوسف الشــطي، إبراهيم محمد الحناوي، الصعود بمعرفة أسباب الورود.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري. بيروت:١٤٢٢هـ دار طوق النجاة.

١١. برنية الصادق البصري، أثر سبب الورود في الحكم الفقهــي» أحاديث في فقه الأسرة أنموذجًا»، بحث مقــدم للمؤتمر العلمي الــدولي الثاني لكلية علوم الشريعة جامعة المرقب.

١٢. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، أحكام القرآن، تحقيق: د. سعد الدين أونال، إستانبول: مركز البحوث الإسلامية، ١٤١٦هـ.

١٣. ابن حمزة الدمشقي، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، اللمع في أسباب ورود الحديث، دار الفكر، ١٤١٦هـ.

١٥. الإمام مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٦. الإمام أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ.

١٧. ابن بلبان الفارسي، الأمير علاء الدين علي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.

مجلة البيان الرقمية للأجهزة الذكية



https://cutt.us/zEaYm



https://cutt.us/jB64B

http://onelink.to/albayan